أَمْرُ إِجْلاَءِ بَنِي النَّضِيرِ[1] فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ[2]

ذهاب رسول الله إلى بني النضير يستعينهم في دية القتيلين

قال ابن إسحاق: ثم خَرَجَ رَسولُ اللّهِ ﷺ إلى بني النَّضِيرِ يستعينُهُمْ في دية ذَيْنِكَ القتيلين (١٨٧/ ب) من بني عامرٍ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عمرو بن أمية الضَّمْرِيُّ؛ لِلْجِوَارِ الذي كان

---

(١) النَّضِير ـ بفَتْح النُّونِ وكَسْرِ الضَّاد المُعْجَمة السَّاقِطة ـ: حَيٌّ من يَهود دَخَلُوا في العرب وهم على نَسَبهم إلى هارون نبيِّ الله تعالى ﷺ، وكانوا من سِبْط لم يصبهم جلاءٌ فيما خلا، وكان الله تعالى قد كتب عليهم هذا الجَلاء.
قال في الهَدْي: زعم محمد بن شهاب الزُّهريّ أَنَّ غَزْوَةَ بَني النَّضِير كانت بعد بَدْر بسِّتَةَ أشهر، وهذا وهمٌ منه وغلط، بل الذي لا شَكّ فيه أنّها كانت بعد أُحد، انتهى. والزُّهريُّ إنما نقل ذلك عن عروة ورواه الحاكم وصحّحه، وأقرّه الذهبيّ والبيهقيّ عن عائشةَ رضي الله عنها، لكن قال البيهقيّ: هكذا قال، أي أحدُ رُواته عن الزُّهريّ، عن عُروةَ عن عائشة وذِكْرُ عائشة غير محفوظ، وتقدّم كلامُ ابن كثير في ذلك، وفي آخر غزوة بني قَيْنُقَاع، فراجِعْه. ينظر: سبل الهدى والرشاد (٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣١).

(٢) اختلفوا في سببها، فروى عبد الرزّاق وعبدُ بنُ حُميد، وأبو داود، والبَيْهَقِيّ بإسناد صحيح، عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ: أنَّ كُفّار قريش كتبوا إلى ابن أُبيّ ومن كان يَعبدُ معه الأوثان من الأوس والخزرج، ورسول الله ﷺ يومئذ بالمدينة قبل وقعة بدر: «إنكم قد آوَيْتُم صاحِبَنا، وإنكم أكثر أهل المدينة عدداً، وإنَّا نُقْسِم بالله لتُقَاتِلنّه، أو لتُخْرِجَنّه، أو لَنَسْتَعْدِيَنَّ عليكم العرب، ثم لَنَسِيرنَّ إليكم بأجمعنا، حتى نقتلَ مُقاتلتكم، ونستَبِيحَ نساءكم، وأبناءكم». فلما بلغ ذلك عبدَ الله بن أُبَيّ ومن كان معه من عَبَدة الأوثان تَراسَلوا، واجتمعوا لِقتال رسول الله ﷺ وأصحابه، فلما بلغه ﷺ لَقِيَهم في جماعة من أصحابه، فقال: «لقد بَلَغَ وعِيدُ قريش منكم المَبالِغ، ما كانت لتَكيدكم بأكثرَ مِمَّا تُريدون أن تكيدوا به أنفسكم، تريدون أن تقاتلوا أبناءكم وإخوانكم». فلما سمعوا ذلك من النبي ﷺ تفَرَّقوا وعرفوا الحق.
فبلغ ذلك كُفّارَ قريش، فكتبوا بعد وقعة بدر إلى اليهود: «إنكم أهلُ الحَلْقة والحصون، وإنكم لتُقاتلنّ صاحبَنا أو لنفعلنّ كذا وكذا، ولا يَحُول بين خَدَم نسائكم شيء»، فلما بلغ كِتابُهم اليهودَ اجْتَمَعتْ بَنُو النَّضِير بالغدر، فأرسلوا إلى رسول الله ﷺ: اخرجْ إلينا في ثلاثين من أصحابك، وليخرجْ منا ثلاثون حَبْراً، حتى نلتقيَ على أمرٍ بمكان نَصَفٍ بيننا وبينك، فيسمعوا منك، فإن صدّقوك وآمنوا بك آمنّا بك كلنا. فلما كان من الغد غدا عليهم رسول الله ﷺ في ثلاثين رجلاً من أصحابه، وخرج إليه ثلاثون حَبْراً من يَهُود، حتى إذا بَرَزُوا في بَرازٍ من الأرض قال بعضهم لبعض: كيف تخلصون إليه ومعه ثلاثون رجلاً من أصحابه، كلُّهم يحب أن يموت قبله، فأرسلوا إليه: كَيفَ نَفْهم ونحن سِتُّون رَجُلاً اخرُج في ثلاثةٍ من أصحابك ونَخْرُج إليك في ثلاثة من علمائنا، فيسمعوا منك، فإن صَدَّقوك وآمنوا بك آمنّا بك، فخرج إليهم رسول الله ﷺ في ثلاثة من أصحابه وخرجت ثلاثة من اليهود، واشتملوا على الخناجر، وأرادوا الفَتْكَ برسول الله ﷺ، فأرسلت امرأةٌ ناصحةٌ من بني النَّضير إلى أخيها وهو رجل مسلم من الأنصار فأخبرته خَبَر ما أراد بَنُو النَّضير من الغدر برسول الله ﷺ، فأقبلَ أخوها سريعاً حتى أدرك رسول الله ﷺ، فسارَّه بخبرهم قبل أن يصل إليهم، فرجع رسول الله ﷺ إلى المدينة فذكر الحديث. ينظر: السبل (٤/ ٣١٧).

رسول الله ﷺ عَقَدَ لهما ـ كما حدَّثني يزيد بن رُومَانَ ـ وكان بين بني النضيرِ وبين بني عامر عَقْدٌ وحِلْفٌ، فلما أتاهم رسول الله ﷺ يستعينهم في دية ذينك القتيلين، قالوا: نعم يا أبا القاسم، نُعِينُكَ علىٰ ما أحْبَبْتَ مما استعنْتَ بنا عليه.

بنو النضير يتآمرون على قتل رسول الله، والله تعالى يحفظه

ثم خلا بعضُهُمْ ببعض، فقالوا: إنَّكُمْ لَنْ تَجِدُوا الرجلَ عَلَىٰ مِثْلِ حاله هذه، ورسولُ الله ﷺ إلى جَنْبِ جِدَارٍ مِنْ بيوتِهم قَاعِدٌ، فَمَنْ رَجُلٌ يَعْلُو على هذا البيتِ فَيُلْقِي عليه صَخْرَةً فَيُرِيحَنَا منه؟! فانتدَبَ لذلك عَمْرُو بن جَحَّاشِ بن كعب أحدهُمْ، فقال: أنا لذلك، فَصَعِدَ ليلقي عليه صخرةً كما قال، ورسول الله ﷺ في نَفَرٍ من أصحابه فيهم أبو بكر وعمر وعليٌّ ـ رضوانُ الله عليهم ـ فَأَتَىٰ رسولَ الله ﷺ الخَبَرُ من السماء بما أراد القوم، فقام وخَرَجَ راجعاً إلى المدينة.

فلما ٱسْتَلْبَثَ النبيَّ ﷺ أَصْحَابُهُ قاموا في طلبه، فَلقُوا رجلاً من المدينة، فسألوه عنه، فقال: رأيته داخلاً المدينة، فأقبل أصحابُ رسول الله ﷺ حَتَّى انْتَهَوْا إليه ﷺ فأخبرهم الخبر بما كَانَتِ اليهودُ أرادَتْ من الغَدْرِ به، وأمر رسولُ الله ﷺ بِالتَّهَيُّؤِ لحربهم والسير إليهم [٦٨٨].

قال ابن هشام: واستعمل على المدينة ابن أم مكتوم.

قال ابن إسحاق: ثم سار بالناس حتى نَزَلَ بهم.

قال ابن هشام: وذلك في شهر ربيعٍ الأَوَّلِ؛ فحاصرهم فيها سِتَّ ليالٍ، ونزل تحريمُ الخَمْرِ.

قال ابن إسحاق: فتحصَّنُوا منه في الحُصُونِ، فأمر رسولُ الله ﷺ بِقَطْعِ النَّخِيلِ والتَّحْرِيقِ فيها، فَنَادَوْهُ: أن يا محمد، قد كُنْتَ تَنْهَىٰ عن الفساد وتَعِيبُهُ علىٰ مَنْ صَنَعَهُ، فما

---

[٦٨٨] انظر في غزوة بني النضير: الواقدي (١/٣٥٣)، وابن سعد في الطبقات (٢/٤٣ ـ ٤٤) وتاريخ الطبري (٢/ ٥٥٠ ـ ٥٥٥)، البيهقي في الدلائل (٣/١٧٦ و٣٥٤، ٣٥٥) وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٨٥، ٨٧) والبخاري في صحيحه (٨/ ٦٧) ـ كتاب المغازي (٦٤) ـ باب حديث بني النضير ـ مختصراً، وقال ابن كثير في البداية (٤/ ١٠): ذكر البيهقي والبخاري قبله خبر بني النضير قبل وقعة أحد، والصواب إيرادها بعد ذلك كما ذكر ذلك محمد بن إسحاق وغيره من أئمة المغازي، وبرهانه أن الخمر حرمت ليالي حصار بني النضير، وثبت في الصحيح أنه اصطبح الخمر جماعة ممن قتل يوم أحد شهيداً فدل على أن الخمر كانت إذ ذاك حلالاً، وإنما حرمت بعد ذلك، فتبين مما قلناه من أن قصة بني النضير بعد وقعة أحد. اهـ.

بَالُ قَطْعِ النخيل وتحريقِها؟! وقد كان رَهْطٌ مِنْ بني عوف بن الخزرج: منهم عَدُوُّ الله عَبْدُ اللّهِ بْنُ أُبَيٍّ ٱبْنُ سَلُولَ، وَوَدِيعَةُ، ومالكُ بن أبي قَوْقَلٍ، وسُوَيْدٌ ودَاعِسٌ ـ قد بعثوا إلى بني النَّضير: أن اثبتوا وتَمَنَّعوا؛ فإنا لَنْ نُسْلِمَكُمْ: إن قُوتِلْتُمْ قاتَلْنَا معكم، وإن أُخْرِجْتُمْ خرجْنَا معكم، فتربَّصُوا ذلك مِنْ نَصْرِهِمْ، فلم يفعلوا، وقَذَفَ الله في قلوبِهِمْ الرُّعْبَ، وسألوا رسولَ الله ﷺ أَنْ يُجْلِيَهُمْ ويَكُفَّ عَنْ دِمَائِهِمْ؛ على أنَّ لهم ما حَمَلَتِ الإبل من أموالهم إلا الحَلْقَةَ[1] ففعل: فاحتملوا مِنْ أموالهم ما استَقَلَّتْ به الإبلُ؛ فكان الرجلُ منهم يَهْدِمُ بيته عن نِجَافِ[2] بابه، فيضعه على ظَهْرِ بَعِيرِهِ، فينطلق به، فخرجوا إلى خَيْبَرَ، ومنهم مَنْ سار إلى الشام، فكانَ أشرافهم مَنْ سار منهم إلى خَيْبَرَ، سَلاَّمُ بن أبي الحُقَيْقِ، وكِنَانَةُ بن الربيع ابن أبي الحُقَيْقِ، وحُيَيُّ بن أُخْطَبَ، فلما نزلوها دَانَ لهم أهلها[3] [٦٨٩].

خروج بني النضير بالخيلاء والزهو

قال ابن إسحاق: فحدَّثني عبد الله بن أبي بكر أَنَّهُ حُدِّثَ أنهم اسْتَقَلُّوا بالنِّسَاءِ والأبناءِ والأموالِ معهم الدُّفُوفُ وَالمَزَامِيرُ والقِيَانُ[4] يَعْزِفْنَ[5] خلفهم، وإنَّ فيهم لأُمَّ عَمْرِو صاحبةَ عُرْوَةَ بْنِ الوَرْدِ العبسيِّ التي ابتاعوا منه، وكانَتْ إحدَىٰ نساء بني غِفَارٍ بِزُهَاءٍ[6] وفَخْرِ ما رُئِيَ مِثْلُهُ من حَيٍّ من الناس في زمانهم، وخَلَّوُا الأموالَ لرسول الله ﷺ فكانَتْ لرسول الله ﷺ خاصَّةً يضعها حيث يشاء؛ فَقَسَمَها رسولُ الله ﷺ على المهاجرين الأولين دُونَ الأنصار، إلا أَنَّ سَهْلَ بن حُنَيْفٍ وأبا دُجانَةَ سِمَاكَ بن خَرَشَةَ ذَكَرَا فَقْراً، فأعطاهما رسول الله ﷺ.

أسلم من بني النضير رجلان

ولم يُسْلِمْ من بني النَّضِيرِ إلا رجلان: يَامِينُ بن عُمَيْرٍ[7] بن كعب بن عمرو بن

---

[٦٨٩] أخرجه الطبري في تاريخه (٢/ ٥٥١ ـ ٥٥٢) والبيهقي في الدلائل (٣/ ٣٥٤ و٣٥٥) وابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٨٥ ـ ٨٦) كلهم نقلاً عن ابن إسحاق بإسناد معضل.

---

(١) إلاَّ الحَلْقَةَ، يعني: السِّلاحَ.
(٢) النِّجاف: العَتَبَةُ الَّتي بأعلى الباب. والأُسْكُفَّةُ: العَتَبَةُ الَّتي بأسفل الباب.
(٣) دان لهم أهْلُها، أي: أطاعوهم، يقال: دانَ النَّاسُ للمَلِك: إذا أطاعوه.
(٤) القِيان: الجَواري.
(٥) يَعْزِفْنَ، أي: يَضْرِبْنَ الدُّفوف.
(٦) الزُّهاءُ، هنا: الإعْجَابُ والتَّكَبُّر.
(٧) يامِينُ بنَ عُمَيْر بن كَعْب. كذا وقع هنا، وصَوابه أبو كَعْب. كذا قال الشيخ أبو ذرٍ الخشني رحمه الله.

جِحَاشٍ، وأبو سعد بن وَهْبٍ، أسلما على أموالهما فأَحْرَزَاها.

قال ابن إسحاق: وقد حدَّثني بعض آل يَامِينَ أن رسول الله ﷺ قال لِيَامِينَ: «أَلَمْ تَرَ مَا لَقِيتُ مِنَ ٱبْنِ عَمِّكَ وَمَا هَمَّ بِهِ مِنْ شَأْنِي؟!» فجعل يامين بن عمير لرجل جُعْلاً على أن يَقْتُلَ له عَمْرَو بن جِحَاشٍ، فقتله فيما يزعمون [٦٩٠].

نزول سورة الحشر في بني النضير

ونزل في بني النَّضير سورة الحشر بأسرها؛ يَذْكُرُ فيها ما أصابهم الله به مِنْ نقمته، وما سَلَّط عليهم به رسولَهُ ﷺ وما عَمِلَ به فيهم؛ فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾؛ وذلك لِهَدْمِهِمْ بيوتَهُمْ عَنْ نُجُفِ أبوابهم إذا احتملوها، ﴿فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ﴾ وكان لهم من الله نقمةً، ﴿لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ﴾ أي: بالسيف، ﴿وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ﴾ مع ذلك، ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا﴾ واللِّينَةُ: ما خالَفَ العَجْوَةَ من النخل، ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ أي: فبأَمْرِ اللّهِ قُطِعَتْ، لم يَكُنْ فساداً، لكنْ كان نِقْمَةً من الله، ﴿وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥].

قال ابن هشام: قال أبو عُبَيْدَةَ: اللينة من الألوان، وهي ما لم تَكُنْ بَرْنِيَّةً ولا عَجْوَةً من النخل فيما حدَّثنا أبو عبيدة، قال ذو الرُّمَّة [من الطويل]:

كَأَنَّ قُتُودِي فَوْقَهَا عُشُّ طَائِرٍ ... عَلَىٰ لِينَةٍ سَوْقَاءَ تَهْفُو جُنُوبُهَا[1]

وهذا البيت في قصيدة له

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ﴾ قال ابن إسحاق: يَعْنِي: من بني النضير، ﴿فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحشر: ٦] أي: له خاصَّة.

قال ابن هشام: أوجفتم: حَرَّكْتُمْ وأتعبتم في السير، قال تميم بن أبي بن مُقْبِلٍ أحد

---

[٦٩٠] وإسناده ضعيف؛ لجهالة شيوخ ابن إسحاق.

وأورده ابن كثير في البداية والنهاية (٤/ ٨٧)، وابن حجر في الإصابة (٦/ ٥٠٢) ت (٩٢٣٣) نقلاً عن ابن إسحاق.

---

(١) القُتود: الرَّحْلُ مع أداتِه، وسَوْقاء، أي: غليظةُ الساق. وتَهْفو، أي: تَهْتَزُّ وتَضْطَرِب، وجُنوبُها، أي: نَواحِيها. وينظر ديوانه ص ٦٩.

بني عامر بن صَعْصَعَة [من الطويل]:

مَذَاوِيدُ بِالْبِيضِ الْحَدِيثِ صِقَالُهَا عَنِ الرَّكْبِ أَحْيَاناً إِذَا الرَّكْبُ أَوْجَفُوا[1]

وهذا البيت في قصيدة له، وهو الوَجِيفُ، وَقَالَ أبو زبيد الطائيُّ، واسمه: حَرْمَلَةُ بن المنذر [من الخفيف]:

مُسْنَفَاتٌ كَأَنَّهُنَّ قَنَا الْهِنْـ ـدِ لِطُولِ الْوَجِيفِ جَذْبَ الْمَرُودِ[2]

وهذا البيت في قصيدة له.

قال ابن هشام: السِّنَاف: البطان[3]، والوجِيفُ أيضاً: وجيفُ القلب والكَبِدِ، وهو الضَّرَبَانُ؛ قال قيس بن الخَطِيم الظَّفَرِيُّ [من المنسرح]:

إِنَّا وَإِنْ قَدَّمُوا الَّتِي عَلِمُوا أَكْبَادُنَا مِنْ وَرَائِهِمْ تَجِفُ

وهذا البيت في قصيدة له.

﴿مَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ قال ابن إسحاق: ما يُوجِفُ عليه المسلمون بالخيل والرِّكَاب وفُتِحَ بالحرب عَنْوَةً فللّه وللرسول، ﴿وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ (١٨٨/ب) يَقُولُ: هذا قسم آخر فيما أُصِيبَ بالحَرْبِ بين المسلمين على ما وضعه الله عليه، ثم قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ يعني: عبد الله بْنَ أُبَيٍّ وأصحابَهُ ومَنْ كان على مِثْلِ أمرهم، ﴿يَقُولُونَ لِإِخْوَٰنِهِمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ يعني: بني النضير... إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾﴾ يعني: بني قَيْنُقَاعَ، ثم القصّة إلى قوله: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٦] [٦٩١].

---

[٦٩١] ينظر تفسير ابن جرير الطبري (١٢/ ٢٧) ـ تفسير سورة الحشر، وتفسر ابن كثير (٤/ ٣٣٠) والبداية والنهاية (٤/ ٨٧ ـ ٨٨).

---

(١) المذاويدُ هنا: جَمْعُ مِذواد وهو الَّذي يدفع عن قومه. والبيض: السيوف. والحديث صِقالُها، معناه: القريبُ عَهْدها بالصَّقْل. وينظر ملحق ديوانه ص (٣٧٢)، وأساس البلاغة (ذود).

(٢) مُسْنَفاتٌ، أي: مَشْدودات بالسِّنَفِ: وهي الحُزْمُ. والجَذْبُ: المكانُ الَّذي لا نَباتَ فيه، والمَرودُ: المَوْضِع الَّذي يَرْتَادُه الرَّائِدُ، أي: الطَّالِبُ لِلْمَرْعَى.
ويروى هذا البيت هكذا

مسنفات كأنهن قنا الهنـ ـد ونسى الوجيفُ شَغْبَ المرُوْدِ.

ينظر ديوانه ص (٥١)، ولسان العرب (٣/ ٤٠١) (مرد)، وتاج العروس (٩/ ١٧٠) (مرد).

(٣) البطانُ: حزامٌ مَنْسوجٌ.

قصيدة للقيم العبسي، وتنسب لقيس بن بحر في إجلاء بني النضير

وكان مما قِيلَ في بني النَّضِيرِ من الشعر قولُ ابن لُقَيْم العَبْسيّ، ويقال: قَالَهُ قَيْسُ بن بَحْر بن طَرِيفٍ (قال ابن هشام: قيس بن بحر الأشجعيّ)، فقال [من الطويل]:

أَهْلِي فِدَاءٌ لِامْرِىءٍ غَيْرِ هَالِكٍ ... أَحَلَّ الْيَهُودَ بِالْحَشِيِّ الْمُزَنَّمِ (١)

يَقِيلُونَ فِي جَمْرِ الْغَضَاةِ وَبُدِّلُوا ... أُهَيْضِبَ عُودَىٰ بِالْوَدِيِّ الْمُكَمَّمِ (٢)

فَإِنْ يَكُ ظَنِّي صَادِقاً بِمُحَمَّدٍ ... تَرَوْا خَيْلَهُ بَيْنَ الصَّلاَ وَيَرَمْرَمِ (٣)

يَؤُمُّ بِهَا عَمْرَو بْنَ بُهْثَةَ؛ إِنَّهُمْ ... عَدُوٌّ وَمَا حَيٌّ صَدِيقٌ كَمُجْرِمِ (٤)

عَلَيْهِنَّ أَبْطَالٌ مَسَاعِيرُ فِي الْوَغَىٰ ... يَهُزُّونَ أَطْرَافَ الْوَشِيجِ الْمُقَوَّمِ (٥)

وَكُلَّ رَقِيقِ الشَّفْرَتَيْنِ مُهَنَّدٍ ... تُوُورِثْنَ مِنْ أَزْمَانِ عَادٍ وَجُرْهُمِ (٦)

فَمَنْ مُبْلِغٌ عَنِّي قُرَيْشاً رِسَالَةً؟ ... فَهَلْ بَعْدَهُمْ فِي الْمَجْدِ مِنْ مُتَكَرَّمِ

بِأَنَّ أَخَاكُمْ، فَاعْلَمُنَّ، مُحَمَّداً ... تَلِيدُ النَّدَىٰ بَيْنَ الْحَجُونِ وَزَمْزَمِ (٧)

فَدِينُوا لَهُ بِالْحَقِّ تَجْسُمْ أُمُورُكُمْ ... وَتَسْمُوا مِنَ الدُّنْيَا إِلَىٰ كُلِّ مُعْظَمِ (٨)

نَبِيٌّ تَلاَفَتْهُ مِنَ اللَّهِ رَحْمَةٌ ... وَلاَ تَسْأَلُوهُ أَمْرَ غَيْبٍ مُرَجَّمِ (٩)

فَقَدْ كَانَ فِي بَدْرٍ لِعَمْرِيَ عِبْرَةٌ ... لَكُمْ يَا قُرَيْشاً وَالْقَلِيبِ الْمُلَمْلَمِ (١٠)

---

(١) قال الشيخ أبو ذر الخشني: الحَسِيُّ، والحِسَاءُ: مِياهٌ تَغُوَّر في الرَّمْل وتُمْسِكُها صَلابةُ الأَرض، فإذا حُفِر عنها وُجِدَتْ. والمُزَنَّمُ على هذا القول هو: المُقَلَّلُ اليَسيرُ. ومَن رَوَاه بالحَشِي أَراد به: حاشِيَة الإِبِل وهي صِغارُها وضِعافُها وهو الصَّواب. والمُزَنَّمُ على هذا القول يعني به: أولادَ الإِبل الصِّغار، وقد يكون المُزَنَّمُ هنا: المَعْز، سُمِّيَتْ بذلك للزَّنَمَتَيْنِ اللَّتَيْن في أَعْناقها، وهما الهنيَّتان اللَّتانِ تَتَعَلَّق من أَعناقها.

(٢) الغَضَاةُ: هكذا وقعت هنا وعند الخشني وقعت العضاة، وقال الشيخ أبو ذر الخشني: العِضاهُ: شَجَرٌ، واحِدَتُها: عِضَةٌ، ومَن رواه: الغضاة، فَيَعْني به: شَجرةً، وجَمْعُها غَضاً، والأُهَيْضَبُ: المكان المُرْتَفِع. وعُوديَ: اسم مَوْضِع. ومَن رواه: عَوْداً، فمعناهُ: مُكرَّرٌ، مِن عادَ يَعودُ. والصَّواب رواية مَن رواه عُودَى. والوَدِيُّ: النَّخِيلُ الصِّغارُ، والمُكَمَّمُ: الَّذي خرج طَلْعُهُ.

(٣) الصَّلا هُنا: مَوضِعٌ. ويَرَمْرَمُ: موضع أيضاً.

(٤) يَؤُمُّ، أي: يَقْصِد.

(٥) مَساعِيرُ، مَعناه: يُسْعِرون الحَرْبَ، أي: يُهَيِّجُونَها. والوَشِيجُ: الرِّماحُ.

(٦) جُرْهُم: قَبيلةٌ قديمةٌ.

(٧) التَّليدُ: القديمُ، والنَّدَى: التَّكَرُّم. والحُجون: موضعٌ بـ «مكة».

(٨) فَدينوا، أي: أَطيعُوا، وتَجْسُم، أي: تَعْظُم، من الشيءِ الجَسيمِ، وهو العظيمُ. وتَسْمو: تَرْتَفِع.

(٩) المُرَجَّم: المَظْنُون الَّذي لا يُتَيَقَّنُ.

(١٠) المُلَمْلَمُ: المَجْموعُ.

غَـدَاةَ أَتَـىٰ فِـي الْـخَـزْرَجِـيَّـةِ عَـامِـداً ... إِلَـيْـكُـمْ مُـطِـيـعـاً لِـلْـعَـظِـيـمِ الْـمُـكَـرَّمِ
مُـعَـانـاً بِـرُوحِ الْـقُـدْسِ يَـنْـكِـي عَـدُوَّهُ ... رَسُـولاً مِـنَ الـرَّحْـمٰـنِ حَـقّـاً بِـمَـعْـلَـمِ[1]
رَسُـولاً مِـنَ الـرَّحْـمٰـنِ يَـتْـلُـو كِـتَـابَـهُ ... فَـلَـمَّـا أَنَـارَ الْـحَـقُّ لَـمْ يَـتَـلَـعْـثَـمِ[2]
أَرَىٰ أَمْـرَهُ يَـزْدَادُ فِـي كُـلِّ مَـوْطِـنٍ ... عُـلُـوًّا لِأَمْـرٍ حَـمَّـهُ الـلَّـهُ مُـحْـكَـمِ[3]

قال ابن هشام: عمرو بن بهْثَةَ من غَطَفَانَ، وقوله «بالحَشِيِّ المُزَنَّمِ» عن غير ابن إسحاق.

قصيدة تنسب لعلي بن أبي طالب في إجلاء بني النضير

قال ابن إسحاق: وقال عليُّ بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ يَذْكُرُ جلاء بنى النضير وقَتْلَ كعب بن الأشرف.

قال ابن هشام: قالها رَجُلٌ من المسلمين غير عليِّ بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ فيما ذكر لي بعضُ أهل العلم بالشعر، ولم أَرَ أحداً منهم يعرفها لعليٍّ رضوان الله عليه [من المتقارب]:

عَـرَفْـتُ وَمَـنْ يَـعْـتَـدِلْ يَـعْـرِفِ ... وَأَيْـقَـنْـتُ حَـقّـا وَلَـمْ أَصْـدِفِ[4]
عَـنِ الْـكَـلِـمِ الْـمُـحْـكَـمِ الـلّاءِ مِـنْ ... لَـدَى الـلَّـهِ ذِي الـرَّأْفَـةِ الْأَزْأَفِ[5]
رَسَـائِـلَ تُـدْرَسُ فِـي الْـمُـؤْمِـنِـيـنَ ... بِـهِـنَّ اصْـطَـفَـى أَحْـمَـدَ الْـمُـصْـطَـفِـي
فَـأَصْـبَـحَ أَحْـمَـدُ فِـيـنَـا عَـزِيـزاً ... عَـزِيـزَ الْـمُـقَـامَـةِ وَالْـمَـوْقِـفِ[6]
فَـيَـأَيُّـهَـا الْـمُـوعِـدُوهُ سَـفَـاهـاً ... وَلَـمْ يَـأْتِ جَـوْراً وَلَـمْ يَـعْـنُـفِ[7]
أَلَـسْـتُـمْ تَـخَـافُـونَ أَذْنَـى الْـعَـذَابِ ... وَمَـا آمِـنُ الـلَّـهِ كَـالْأَخْـوَفِ!
وَأَنْ تُـصْـرَعُـوا تَـحْـتَ أَسْـيَـافِـهِ ... كَـمَـصْـرَعِ كَـعْـبِ أَبِـي الْأَشْـرَفِ
غَـدَاةَ رَأَى الـلَّـهُ طُـغْـيَـانَـهُ ... وَأَعْـرَضَ كَـالْـجَـمَـلِ الْأَجْـنَـفِ[8]

---

(١) روحُ القُدُس: هو جِبْريلُ عليه السلام، ويُنْكِي عَدُوَّهُ، أي: يُبالِغ في ضرَرِه، والمَعْلَم: المَوْضِع المُرْتَفِع المُشْرِف.
(٢) لم يَتَلَعْثَمْ، أي: لم يَتَأَخَّرْ ولم يَتَوَقَّفْ.
(٣) حَمَّهُ اللّه، أي: قَدَّرَهُ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٩٠).
(٤) لم أَصْدِف، أي: لم أُعْرِض، يقال: صَدَفَ عن الحَقِّ: إذا أَعْرَضَ عنه وَتَرَكَه.
(٥) الرَّأفة: الرَّحْمَة والتَّلَطُّفُ.
(٦) المُقامةُ بِضَمِّ الميم: مَوْضِع الإِقامةِ.
(٧) الموعِدُوهُ، معناه: المُهَدِّدُوهُ، والسَّفَاه: الضَّلالُ. ولم يَعْنُفِ، أي: لم يَأْتِ بِخِلافِ الرِّفْقِ.
(٨) الأَجْنَفُ: المائِلُ إلى جِهَةٍ.

فَأَنْزَلَ جِبْرِيلَ فِي قَتْلِهِ ... بِوَحْيٍ إِلَىٰ عَبْدِهِ مُلْطَفِ
فَدَسَّ الرَّسُولُ رَسُولاً لَهُ ... بِأَبْيَضَ ذِي هَبَّةٍ مُرْهَفِ[1]
فَبَاتَتْ عُيُونٌ لَهُ مُعْوِلاَتٌ ... مَتَىٰ يُنْعَ كَعْبٌ لَهَا تَذْرِفِ[2]
وَقُلْنَ لِأَحْمَدَ ذَرْنَا قَلِيلاً ... فَإِنَّا مِنَ النَّوْحِ لَمْ نَشْتَفِ
فَخَلاَّهُمُ ثُمَّ قَالَ: اظْعَنُوا ... دُحُوراً عَلَىٰ رَغْمِ الْآنُفِ[3]
وَأَجْلَى النَّضِيرَ إِلَىٰ غُرْبَةٍ ... وَكَانُوا بِدَارِ ذَوِي زُخْرُفِ[4]
إِلَىٰ أَذْرِعَاتٍ رُدَافَىٰ وَهُمْ ... عَلَىٰ كُلِّ ذِي دَبَرٍ أَعْجَفِ[5]

سماك اليهودي يرد على قصيدة علي

فأجابه سَمَّاك اليهوديُّ، فقال [من المتقارب]:

إِنْ تَفْخَرُوا فَهْوَ فَخْرٌ لَكُمْ ... بِمَقْتَلِ كَعْبٍ أَبِي الْأَشْرَفِ (١٨٩/أ)
غَدَاةَ غَدَوْتُمْ عَلَىٰ حَتْفِهِ ... وَلَمْ يَأْتِ غَدْراً وَلَمْ يُخْلِفِ
فَعَلَّ اللَّيَالِي وَصَرْفَ الدُّهُورِ ... يُدِلْنَ مِنَ الْعَادِلِ الْمُنْصِفِ[6]
بِقَتْلِ النَّضِيرِ وَأَحْلاَفِهَا ... وَعَقْرِ النَّخِيلِ وَلَمْ تُقْطَفِ[7]

---

(١) بأَبْيَضَ، يعني: سَيْفاً، والهبةُ: الاهْتِزازُ، والتَّصْمِيمُ، والمُرْهَفُ: القاطِع.

(٢) مُعْولاتٌ، أي: باكِياتٌ بصَوْتٍ، ويُنْعَ، أي: يُذْكَرُ خَبَرُ قَتْلِهِ، وَتَذْرِفُ، أي: تَسيلُ بالدُّموع.

(٣) أَظْعِنُوا، أي: ارْحَلوا، والدُّحورُ بالدال المهملة: الذُّلُّ والهَوانُ. ومنه قولهُ تعالى: ﴿ويُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ دُحُوراً﴾. على رَغْمِ الآنُفِ: يُريد على المَذَلَّة، يقال: أَرْغَمَ اللَّهُ أَنْفَه: إذا أَذَلَّه، والآنُفُ: جَمْعُ أَنْفٍ.

(٤) قال الشيخ أبو ذر الخشني: أَجْلَى النَّضِيرَ إلى غُرْبَةٍ: مَن روَاه بضمّ الغيْن، فهو من الاغْتِراب، ومَن روَاه بفتح الغَيْن فَمَعْنَاه: البُعْدُ، والزُّخْرُف: الزِّينَةُ وحُسْنُ التَّنَعُّم.

(٥) أَذرِعاتٌ: موضِعٌ بالشام. ورُدَافَى، أي: مُرْتَدِفين، يَرْدِفُ بَعْضُهم بَعْضاً، قال ابنُ سِرَاج: واحِدُها: رَدْفَى كَسَكْرَى وسُكَارَىٰ. وعلى كُلّ ذي دَبَرٍ أَعْجَفِ، يَعْنِي: جَمَلاً بظَهْره دَبَرٌ، ودَبَرٌ، أي: جُرْح، والأَعْجَفُ: الهزيلُ الضَّعيفُ.
وينظر البداية والنهاية (٤/ ٩٠، ٩١).

(٦) قال الخشني: يُدِلْنَ: هو منَ الدَّوْلَة أي نُصِيبُ منه مِثْل ما أَصابَ منَّا. من العادِل المُنْصِف. يَعْني به النبيَّ عليه السَّلام، فإن قيل: كَيْفَ قال اليَهودي فيه العادِل المُنْصِف، وهو لا يَعْتَقِدُ ذلك؟ فالجواب: أنْ يُقال: يَجُوز أن يَكون ذلك مِمَّا لَفْظُه لَفْظ المَدْح ومعناه الذمُّ، مثلُ قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّك أَنْتَ العَزِيزُ الكَرِيمُ﴾. وكما قال الآخَر:

يَجْزُون من ظُلْم أهل الظُّلْم مَغْفِرةً ... ومِن إساءَةِ أَهْلِ السُّوْءِ إحْسانا

فهذا وإن كان ظاهِرهُ المَدْحَ فَمعْناهُ: الذمُّ، وقد قيل: إنَّه مِمَّا بُدِّلَ وأَصْلُه في الرواية لَفْظٌ آخَرُ. فقيل بَدَّلَهُ من العادِل المُنْصِف؛ لأنَّه في وَصْفِ النبيِّ عليه السلام.

(٧) قال الخشني: أَحْلافها: هو جَمْعُ حِلْفٍ: وهو الصاحِب. ومَن روَاه وَأَجْلائِها فَمَعْناه: وإِخْراجُها من =

فَإِنْ لاَ أَمُتْ تَأْتِكُمْ بِالْقَنَا ... وَكُلِّ حُسَامٍ مَعْاً مُرْهَفِ[1]
بِكَفٍّ كَمِيٍّ بِهِ يَخْتَمِي ... مَتَىٰ يَلْقَ قِرْناً لَهُ يَتْلَفِ[2]
مَعَ الْقَوْمِ صَخْرٌ وَأَشْيَاعُهُ ... إِذَا غَاوَرَ الْقَوْمَ لَمْ يَضْعُفِ[3]
كَلَيْثٍ بِتَرْجٍ حَمَىٰ غِيلَهُ ... أَخِي غَابَةٍ هَاصِرٍ أَجْوَفِ[4]

قصيدة لكعب بن مالك في إجلاء بني النضير ومقتل كعب بن الأشرف

قال ابن إسحاق: وقال كَعْبٌ بن مالك يَذْكُرُ إِجْلاَءَ بني النضير وقَتْلَ كَعْب بن الأشرف [من الوافر]:

لَقَدْ خَزِيَتْ بِغَدْرَتِهَا الْحُبُورُ ... كَذَاكَ الدَّهْرُ ذُو صَرْفٍ يَدُورُ[5]
وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِرَبٍّ ... عَزِيزٍ، أَمْرُهُ أَمْرٌ كَبِيرُ
وَقَدْ أُوتُوا مَعْاً فَهْماً وَعِلْماً ... وَجَاءَهُمُ مِنَ اللَّهِ النَّذِيرُ
نَذِيرٌ صَادِقٌ أَدَّىٰ كِتَاباً ... وَآيَاتٍ مُبَيَّنَةً تُنِيرُ
فَقَالُوا: مَا أَتَيْتَ بِأَمْرِ صِدْقٍ ... وَأَنْتَ بِمُنْكَرٍ مِنَّا جَدِيرُ[6]
فَقَالَ: بَلَىٰ لَقَدْ أَدَّيْتُ حَقًّا ... يُصَدِّقُنِي بِهِ الْفَهِمُ الْخَبِيرُ
فَمَنْ يَتْبَعْهُ يُهْدَ لِكُلِّ رُشْدٍ ... وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ يُجْزَ الْكَفُورُ
فَلَمَّا أُشْرِبُوا غَدْراً وَكُفْراً ... وَجَدَّ بِهِمْ عَنِ الْحَقِّ النُّفُورُ[7]
أَرَى اللَّهُ النَّبِيَّ بِرَأْيِ صِدْقٍ ... وَكَانَ اللَّهُ يَحْكُمُ لاَ يَجُورُ
فَأَيَّدَهُ وَسَلَّطَهُ عَلَيْهِمْ ... وَكَانَ نَصِيرَهُ، نِعْمَ النَّصِيرُ
فَغُودِرَ مِنْهُمُ كَعْبٌ صَرِيعاً ... فَذَلَّتْ بَعْدَ مَصْرَعِهِ النَّضِيرُ
عَلَى الْكَفَّيْنِ ثَمَّ وَقَدْ عَلَتْهُ ... بِأَيْدِينَا مُشَهَّرَةٌ ذُكُورُ[8]

= بلادِها. ولم تُقْطَفِ: مَن روَاه بفتح الطاء، فمعناه: لم يُؤخذ ثَمَرُها. ومَن روَاه بكسر الطاء فمعناه: لم تَبْلُغ زَمَنَ القِطافِ.

(١) الحُسام: السيف القاطِعُ، المُرْهَفُ: القاطِع أيضاً، وقد تقدم.

(٢) الكَمِيُّ: الشُّجاعُ، وقِرنُ الرجل: بِكَسْرِ القاف وهو مُقاومُه في القتال.

(٣) صَخرٌ هُنا: هو أبو سُفيان بنُ حَرْب.

(٤) تَرْجٌ: مَوْضِعٌ تُنْسَبُ إليه الأُسودُ، والغِيلُ: أَجَمَةُ الأَسَدِ، وكذلك الغابَةُ. والهاصِر: الّذي يَكْسِر فَرِيسَتَه إذا أَخَذَها، والأَجْوَفَ: العَظِيمُ الجَوْفِ.

(٥) الحُبُور، هنا: جَمْعُ حَبْرٍ وهو العالِم، ويقال في جَمْعِهِ: الأَحْبارُ أَيضاً، وأَراد بالحُبور هُنا: عُلَماء اليَهودِ.

(٦) جَديرٌ، أي: حَقيقٌ وخَليقٌ، يُقال: هو جَديرٌ بكذا: إذا كان حَقيقاً بِهِ.

(٧) ويروي: حادَ بِهِم، أي: مال بِهِمْ.

(٨) مُشَهَّرَةٌ ذُكورُ، يَعْني: السُيوفَ.

بِـأَمْـرِ مُـحَـمَّـدٍ إِذْ دَسَّ لَـيْـلاً ... إِلَـىٰ كَـعْـبٍ أَخَـا كَـعْـبٍ يَـسِـيـرُ
فَـمَـاكَـرَهُ فَـأَنْـزَلَـهُ بِـمَـكْـرٍ ... وَمَـخْـمُـودٌ أَخُـو ثِـقَـةٍ جَـسُـورُ
فَـتِـلْـكَ بَـنُـو الـنَّـضِـيـرِ بِـدَارِ سَـوْءٍ ... أَبَـارَهُـمُ بِـمَـا اجْـتَـرَمُـوا الْـمُـبِـيـرُ[1]
غَـدَاةَ أَتَـاهُـمُ فِـي الـزَّحْـفِ رَهْـواً[2] ... رَسُـولُ الـلَّـهِ وَهْـوَ بِـهِـمْ بَـصِـيـرُ
وَغَـسَّـانُ الْـحُـمَـاةُ مُـوَازِرُوهُ ... عَـلَـى الْأَعْـدَاءِ، وَهْـوَ لَـهُـمْ وَزِيـرُ
فَـقَـالَ: السِّـلْـمَ وَيْـحَـكُـمُ، فَـصَـدُّوا ... وَحَـالَـفَ أَمْـرَهُـمْ كَـذِبٌ وَزُورُ[3]
فَـذَاقُـوا غِـبَّ أَمْـرِهِـمُ وَبَـالاً ... لِـكُـلِّ ثَـلاَثَـةٍ مِـنْـهُـمْ بَـعِـيـرُ[4]
وَأُجْـلُـوا عَـامِـدِيـنَ لِـقَـيْـنُـقَـاعٍ ... وَغُـودِرَ مِـنْـهُـمُ نَـخْـلٌ وَدُورُ[5] [٦٩٢]

قصيدة لسماك اليهودي يرد على كعب بن مالك

فأجابه سَمَّاك اليهوديُّ، فقال [من الوافر]:

أَرِقْـتُ وَضَـافَـنِـي هَـمٌّ كَـبِـيـرُ ... بِـلَـيْـلٍ غَـيْـرُهُ لَـيْـلٌ قَـصِـيـرُ[6]
أَرَى الْأَخْـبَـارَ تُـنْـكِـرُهُ جَـمِـيـعـاً ... وَكُـلُّـهُـمُ لَـهُ عِـلْـمٌ خَـبِـيـرُ
وَكَـانُـوا الـدَّارِسِـيـنَ لِـكُـلِّ عِـلْـمٍ ... بِـهِ الـتَّـوْرَاةُ تَـنْـطِـقُ وَالـزَّبُـورُ
قَـتَـلْـتُـمْ سَـيِّـدَ الْأَحْـبَـارِ كَـعْـبـاً ... وَقِـدْمـاً كَـانَ يَـأْمَـنُ مَـنْ يُـجِـيـرُ
تَـدَلَّـىٰ نَـحْـوَ مَـحْـمُـودٍ أَخِـيـهِ ... وَمَـخْـمُـودٌ سَـرِيـرَتُـهُ الْـفُـجُـورُ
فَـغَـادَرَهُ كَـأَنَّ دَمـاً نَـجِـيـعـاً ... يَـسِـيـلُ عَـلَـىٰ مَـدَارِعِـهِ عَـبِـيـرُ[7]
فَـقَـدْ ـ وَأَبِـيـكُـمُ وَأَبِـي جَـمِـيـعـاً ـ ... أُصِـيـبَـتْ إِذْ أُصِـيـبَ بِـهِ الـنَّـضِـيـرُ

---

[٦٩٢] ينظر تفسير ابن كثير (٤/ ٣٣٤) والبداية والنهاية (٤/ ٨٩ ـ ٩٠).

---

(١) أَبارَهم، أي: أَهْلَكَهم. والبَوارُ: الهَلاكُ، واجْتَرَمُوا أي: اكْتَسَبوا.
(٢) الرَّهْو بالرّاء: مَشْيٌ في سُكُون.
(٣) السِّلْمُ بفَتْح السين وكَسْرِها: الصُّلْحُ. وحالَفَ أي: صاحَبَ، والحَليفُ: الصاحِبُ.
(٤) غِبَّ أمْرِهم، أي: بعد أمرهم، والوَبَالُ: النَّكالُ والثِّقلُ.
(٥) عامِدِين، أي: قاصِدِين، وقَيْنُقَاعُ: قَبيلةٌ منَ اليَهودِ. وينظر البداية والنهاية (٤/ ٨٩، ٩٠).
(٦) أَرِقْتُ معناه: امْتَنَعْتُ منَ النَّوْم، وضَافَنِي أي: نَزل بِي.
(٧) النَجِيعُ: الدمُ الطَرِيُّ. على مَدَارِعِهِ بالدّال المهملة، هو جَمْعُ مِدْرَعَةٍ وهو ثَوْبٌ يُلْبَسُ، وقال بعضُ اللُّغَوِيّين: لا تكون المِدْرَعَةُ إلاَّ مِن صُوفٍ، ومَن روَاه بالذال المعجمة فالمذَارِعُ منَ البَعير والدابّةِ: قَوائِمُها وأَراد به هنا يَدَيْه ورِجْلَيه فاستعارها هنا، والعَبيرُ: الزَّعْفرانُ. وبعضهم يقول: هو أَخْلاطٌ من الطِّيب تُجمَعُ بالزعفران.

فَإِنْ تَسْلَمْ لَكُمْ نَتْرُكْ رِجَالاً ... بِكَعْبٍ حَوْلَهُمْ طَيْرٌ تَدُورُ
كَأَنَّهُمُ عَتَائِرُ يَوْمَ عِيدٍ ... تُذَبَّحُ وَهْيَ لَيْسَ لَهَا نَكِيرُ[1]
بِبِيضٍ لاَ تُلِيقُ لَهُنَّ عَظْماً ... صَوَافِي الْحَدِّ أَكْثَرُهَا ذُكُورُ[2]
كَمَا لاَقَيْتُمُ مِنْ بَأْسِ صَخْرٍ ... بِأُحْدٍ حَيْثُ لَيْسَ لَكُمْ نَصِيرُ[3]

كلمة لعباس بن مرداس يمدح بني النضير

وقال عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ أخو بني سُلَيْم يمتدحُ رجالَ بني النَّضِيرِ [من الطويل]:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الدَّارِ لَمْ يَتَصَدَّعُوا ... رَأَيْتُ خِلاَلَ الدَّارِ مَلْهىً وَمَلْعَبَا[4]
فَإِنَّكَ عَمْرِي، هَلْ أُرِيكَ ظَعَائِناً ... سَلَكْنَ عَلَىٰ رُكْنِ الشَّطَاةِ فَتَيْأَبَا؟[5]
عَلَيْهِنَّ عِينٌ مِنْ ظِبَاءِ تَبَالَةٍ ... أَوَانِسُ يُضْبِينَ الْحَلِيمَ الْمُجَرَّبَا[6]
إِذَا جَاءَ بَاغِي الْخَيْرِ قُلْنَ فَجُاءَةً ... لَهُ بِوُجُوهٍ كَالدَّنَانِيرِ: مَرْحَبَا
وَأَهْلاً فَلاَ مَمْنُوعَ خَيْرٍ طَلَبْتَهُ ... وَلاَ أَنْتَ تَخْشَى عِنْدَنَا أَنْ تُؤَنَّبَا[7]
فَلاَ تَحْسَبَنِّي كُنْتُ مَوْلَى ابْنِ مِشْكَمٍ ... سَلاَمٍ وَلاَ مَوْلَى حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَا[8]

خوات بن جبير يرد على العباس بن مرداس

فأجابه خَوَّاتُ بْنُ جُبَيْرٍ أخو (١٨٩/ب) بني عمرو بن عوف، فقال [من الطويل]:

تُبَكِّي عَلَىٰ قَتْلَىٰ يَهُودَ وَقَدْ تَرَىٰ ... مِنَ الشَّجْوِ لَوْ تَبْكِي أَحَبَّ وَأَقْرَبَا[9]
فَهَلاَّ عَلَى قَتْلَى بِبَطْنِ أُرَيْنِقٍ ... بَكَيْتَ وَلَمْ تُغْوِلْ مِنَ الشَّجْوِ مُسْهِبَا[10]
إِذَا السِّلْمُ دَارَتْ فِي صَدِيقٍ رَدَدْتَهَا ... وَفِي الدِّينِ صَدَّاداً وَفِي الْحَرْبِ ثَعْلَبَا[11]

---

(١) العَتَائِرُ: جَمْعُ عَتِيرَةٍ وهي الذَّبيحة.
(٢) لا تُلِيقُ، أي: لا تَفِيَ.
(٣) صَخْرٌ هنا: هو أبو سُفْيان بن حَرْب.
(٤) لَمْ يَتَصَدَّعُوا، أي: لم يَتَفَرَّقُوا. وخِلالَ الدار، أي: بين الدار.
(٥) الظَّعائِن: النِّساءُ في الهَوادِجِ، والشَّطَاةُ: مَوْضِعٌ هنا، وتَيأبُ: مَوْضِعٌ أيضاً، وكذلك هو على سائِر الرِّواياتِ فيه.
(٦) العِينُ: جَمْعُ عَيْنَاءَ، وهي: الكبيرةُ العَيْنِ، وتَبالَةَ: مَوْضِعٌ. ويُضْبِينَ، أي: يُذْهِبْنَ العَقْلَ.
(٧) أَن تُؤَنَّبا، أي: تُلام، يُقال: أَنَّبْتُ الرجُلَ: إذا لُمْتَهُ.
(٨) مَوْلَى ابن مِشْكَم، المَوْلَى، هنا: الحَليفُ والصَّاحِبُ.
(٩) مِنَ الشَّجْوِ لَوْ تَبْكِي أَحَبَّ وأَقْرَبَا، الشَّجْوُ: الحُزْنُ.
(١٠) أُرَيْنِقُ بالراء والزاي: مَوْضِعٌ. لم تُغْوِلْ، أي: لم تَرْفَعْ أَصْواتَها بالبُكاءِ، والمُسْهَبُ هنا: المُتَغَيِّرُ الوَجْهِ.
(١١) السِّلْمُ: الصُّلْحُ بِفَتْح السين وكَسْرِها وقد تقدّم، والصَّدَّاد، هنا: الَّذي يَصُدُّ عن الدين والحَقّ. وفي الحرب ثَعْلَباً، أي: كَثيرَ الرَّوغَان لا يَصْدُق فيها.

عَـمَـدْتَ إِلَـى قَـدْرٍ لِـقَـوْمِـكَ تَـبْـتَـغِـي ... لَـهُـمْ شَـنَّـهـاً كَـيْـمَـا تَـعِـزَّ وَتَـغْـلِـبَـا
فَـإِنَّـكَ لَـمَّـا أَنْ كَـلِـفْـتَ تَـمَـدُّحـاً ... لِـمَـنْ كَـانَ عَـيْـبـاً مَـدْحُـهُ وَتَـكَـذُّبَـا
رَحَـلْـتَ بِـأَمْـرٍ كُـنْـتَ أَهْـلاً لِـمِـثْـلِـهِ ... وَلَـمْ تُـلْـفِ فِـيـهِـمْ قَـائِـلاً لَـكَ: مَـرْحَـبَـا
فَـهَـلاَّ إِلَـى قَـوْمٍ مُـلُـوكٍ مَـدَحْـتَـهُـمْ ... تَـبَـنَّـوْا مِـنَ الْـعِـزِّ الْـمُـؤَثَّـلِ مَـنْـصِـبَـا[1]
إِلَـى مَـعْـشَـرٍ سَـادُوا مُـلُـوكـاً وَكُـرِّمُـوا ... وَلَـمْ يُـلْـفَ فِـيهِـمْ طَـالِـبُ الْـعُـرْفِ مُـجْـدِبَـا[2]
أُولَـئِـكَ أَحْـرَى مِـنْ يَـهُـودَ بِـمِـدْحَـةٍ ... تَـرَاهُـمْ وَفِـيـهِـمْ عِـزَّةُ الْـمَـجْـدِ تُـرْتَـبَـا[3]

العباس بن مرداس يرد ثانياً على خوات بن جبير

فأجابه عَبَّاسُ بن مِرْدَاسٍ السُّلَمِيُّ، فقال [من الطويل]:

هَـجَـوْتَ صَـرِيـحَ الْـكَـاهِـنَـيْـنِ[4] وَفِـيـكُـمُ ... لَـهُـمْ نِـعَـمٌ كَـانَـتْ مِـنَ الـدَّهْـرِ تُـرْتَـبَـا
أُولَـئِـكَ أَحْـرَى[5] لَـوْ بَـكَـيْـتَ عَـلَـيْـهِـمُ ... وَقَـوْمُـكَ لَـوْ أَدَّوْا مِـنَ الْـحَـقِّ مُـوجَـبَـا
مِـنَ الـشُّـكْـرِ إِنَّ الـشُّـكْـرَ خَـيْـرُ مَـغَـبَّـةٍ[6] ... وَأَوْفَـقُ فِـعْـلاً لِـلَّـذِي كَـانَ أَصْـوَبَـا
فَـكُـنْـتَ كَـمَـنْ أَمْـسَـى يُـقَـطِّـعُ رَأْسَـهُ ... لِـيَـبْـلُـغَ عِـزًّا كَـانَ فِـيـهِ مُـرَكَّـبَـا
فَـبَـكَّ بَـنِـي هَـرُونَ وَاذْكُـرْ فِـعَـالَـهُـمْ ... وَقَـتْـلَـهُـمُ لِـلْـجُـوعِ إِذْ كُـنْـتَ مُـجْـدِبَـا
أَخَـوَّاتُ أَذْرِ الـدَّمْـعَ بِـالـدَّمْـعِ وَابْـكِـهِـمْ ... وَأَعْـرِضْ عَـنِ الْـمَـكْـرُوهِ مِـنْـهُـمْ وَنَـكِّـبَـا[7]
فَـإِنَّـكَ لَـوْ لاَقَـيْـتَـهُـمْ فِـي دِيَـارِهِـمْ ... لَأُلْـفِـيـتَ عَـمَّـا قَـدْ تَـقُـولُ مُـنَـكِّـبَـا
سِـرَاعٌ إِلَـى الْـعَـلْـيَـا كِـرَامٌ لَـدَى الْـوَغَـى ... يُـقَـالُ لِـبَـاغِـي الْـخَـيْـرِ: أَهْـلاً وَمَـرْحَـبَـا

قصيدة لكعب بن مالك أو لعبد الله بن رواحة في جواب العباس بن مرداس

فأجابه كعب بن مالكٍ، أو عبد الله بن رَوَاحَةَ؛ فيما قال ابن هشام، فقال [من الطويل]:

---

(١) المُؤَثَّلُ: القَديم، والمَنْصِبُ: مَنْزلةُ الشَّرف والْحَسَب.
(٢) مُجْدِبُ هنا: من الجَدْب، وهو، القَحْطُ وقِلَّةُ الخَيْر.
(٣) قال الخشني: تُرْتُبٌ أي: ثابتٌ، والتاء الأُولى فيها زائِدةٌ، وهو مِن رَتَبَ عند سيبوَيْه. ويقال فيه: تُرْتُبٌ وتُرْتَبٌ بضَمِّ التاء الثانية وفَتْحِها.
(٤) الصَّريح، هنا: الخالِصُ النَّسَب، والكاهِنان: قَبيلان من يَهودِ المدينة يَزْعُمون أَنَّهم من ولد هارونَ عليه السلام، ويُرْوَى الكاهِنِين هنا بالجَمْع.
(٥) أَحْرىَ أي: أَحَقُّ وأَوْلَى به.
(٦) خَيْرُ مَغَبَّةٍ، أي: خَيْرٌ فيما يُسْتَقْبَل بَعْدُ.
(٧) نَكِّبْ، أي: عرِّجْ عنهم.

لَعَمْرِي لَقَدْ حَكَّتْ رَحَى الْحَرْبِ بَعْدَمَا ... أَطَارَتْ لُؤَيًّا قَبْلُ شَرْقاً وَمَغْرِبَا
بَقِيَّةَ آلِ الْكَاهِنَيْنِ وَعِزُّهَا ... فَعَادَ ذَلِيلاً بَعْدَمَا كَانَ أَغْلَبَا[1]
فَطَاحَ سَلاَمٌ وَابْنُ سَعْيَةَ عَنْوَةً ... وَقِيدَ ذَلِيلاً لِلْمَنَايَا ابْنُ أَخْطَبَا[2]
وَأَجْلَبَ يَبْغِي الْعِزَّ وَالذُّلُّ يَبْتَغِي ... خِلاَفَ يَدَيْهِ مَا جَنَى حِينَ أَجْلَبَا[3]
كَتَارِكِ سَهْلِ الأَرْضِ وَالْحَزْنُ هَمُّهُ ... وَقَدْ كَانَ ذَا فِي النَّاسِ أَكْدَى وَأَصْعَبَا[4]
وَشَأْسٌ وَعَزَّالٌ وَقَدْ صَلِيَا بِهَا ... وَمَا غُيِّبَا عَنْ ذَاكَ فِيمَنْ تَغَيَّبَا[5]
وَعَوْفُ بْنُ سَلْمَى وَابْنُ عَوْفٍ كِلاَهُمَا ... وَكَعْبٌ رَئِيسُ الْقَوْمِ حَانَ وَخُيِّبَا[6]
فَبُعْداً وَسُحْقاً لِلنَّضِيرِ وَمِثْلُهَا ... إِنَ أَعْقَبَ فَتْحٌ أَوْ إِنِ اللَّهُ أَعْقَبَا[7]

غزو بني المصطلق كان بعد غزو بني النضير

قال ابن هشام: قال أبو عمرٍو المدنيُّ: ثم غزا رسول الله ﷺ بعد بَنِي النَّضِير بني المُصْطَلِقِ، وسأذكُرُ حديثهم ـ إن شاء الله ـ في الموضع الذي ذكره ابن إسحاق فيه.

غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ[8]

قال ابن إسحاق: ثم أقام رسول الله ﷺ بالمدينة بعد غزوة بني النَّضير شَهْرَ ربيعٍ

---

(١) الأَغْلَبُ: الشَّديدُ.

(٢) طَاحَ، أي: ذهب وهلَكَ، والعَنْوَة: القَهْرُ والذِّلَّةُ.

(٣) قال الخشني: حين أَجْلَبَا: مَن روَاه بالجيم فَمعْنَاه: جَمَعَ وصاحَ، ومَن روَاه بالحاء المهملة فمعناه: جَمَعَ أيضاً، إلاَّ أَنَّ الَّذي بالجيم لا يكون إلا مع صِياح.

(٤) الحَزْن: ما علا من الأرض. أَكْدَى، أي: لم ينجح في سَعْيِه، يُقال: أَكْدَى الرَّجُلُ في حاجَته: إذا لم يَظْفَرْ بها.

(٥) صليا بها أي: باشرا حَرَّها.

(٦) وحان أي: هلك.

(٧) إن الله أَعْقَبَا، أَي: إن الله جاء بالنَّصْر عليهم. وينظر ديوان كعب بن مالك ص (١٧٦).

(٨) اختلف في تسمية هذه الغزوة بذات الرِّقَاع ـ بكسر أوله، فقيل: هي اسم شجرة سميت الغزوة بها، وقيل: لأن أقدامهم نَقِبَت فلقوا عليها الخِرَق كما في صحيح مسلم عن أبي موسى الأشعري، وقيل: بل سُمِّيَتْ بِرِقاع كانت في ألْوِيَتِهِمْ. قال في تهذيب المطالع: والأصح أنه مَوْضِعٌ؛ لقوله: حتَّى إذا كُنَّا بذات الرقَاع. وكانت الأرض التي نَزَلوها ذات ألوان تُشْبِه الرقاع، وقيل: لأن خَيْلَهُم كان بِها سواد وبياض.
قال محمد بن عمر الأسلمي: سميت بجبلٍ هناك فيه بقع، ورجَّحَ السُّهَيْلي، والنَّوَوِيُّ السَّبَبَ الَّذِي ذَكَرَه أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِي.
قال النووي ـ رحمه الله تعالى ـ: ويحتملُ أنها سُمِّيَتْ بالمجموع، وبه جزم صاحب تهذيب المطالع في التقريب. =